الفصل الأول

من هم آل البيت؟

البحث الأول : آل البيت ـ لغة ـ :

قال العلامة ابن منظور (ت٧١١هـ) رحمه الله تعالىٰ :

(. . .آل النبي ﷺ ، قال أبو العباس أحمد بن يحيىٰ : اختلف الناس في الآل ، فقالت طائفة : آل النبي ﷺ من اتبعه قرابة كانت أو غير قرابة ، وآله ذو قرابته مُتَّبعاً أو غير مُتَّبع .

وقالت طائفة : الآل والأهل واحد ، واحتجوا بأن الآل إذا صُغِّر قيل أُهَيْل ، فكأن الهمزة هاء كقولهم هَنَرْتُ الثوب وأنَرْته إذا جعلت له عَلَماً ، قال : وروىٰ الفراء عن الكسائي في تصغير آل أُوَيْل ، قال أبو العباس : فقد زالت تلك العلة وصار الآل والأهل أصلين لمعنيين فيدخل في الصلاة كل من اتبع النبي ﷺ قرابة كان أو غير قرابة ، وروي عن غيره أنه سئل عن قول النبي ﷺ : « اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد » : من آلُ محمد؟ فقال : قال قائل آله أهله وأزواجه ، كأنه ذهب إلىٰ أن الرجل تقول له أَلَكَ أهلٌ؟ فيقول : لا ، وإنما يعني أنه ليس له زوجة ، قال : وهذا معنىٰ يحتمله اللسان ، ولكنه معنىٰ كلام لا يُعرف إلا أن يكون له سبب كلام يدل عليه ، وذلك أن يقال للرجل :

تزوَّجت ، أو يقول الرجل أجنبت من أهلي فيعرف أن الجنابة إنما تكون من الزوجة ، فأما أن يبدأ الرجل فيقول أهلي ببلد كذا فأنا أزور أهلي وأنا كريم الأهل ، فإنما يذهب الناس في هذا إلىٰ أهل البيت ، قال : وقال قائل : آل محمد أهل دين محمد ، قال : ومن ذهب إلىٰ هذا أشبه أن يقول : قال الله لنوح : ﴿ ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ﴾ [هود : ٤٠] . وقال نوح : ﴿ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي ﴾ [هود : ٤٥] . فقال تبارك وتعالىٰ : ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ [هود : ٤٦] . أي ليس من دينك .

قال : والذي يُذهب إليه في معنىٰ هذه الآية أن معناه : أنه ليس من أهلك الذي أمَرناك بحملهم معك ، فإن قال قائل : وما دل علىٰ ذلك؟ قيل قول الله تعالىٰ : ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾ [هود : ٤٠] . فأعلمه أنه أمره بأن يحمل من أهله من لم يسبق عليه القول من أهل المعاصي ، ثم بين ذلك فقال : ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ [هود : ٤٦] . قال : وذهب ناس إلى أن آل محمد قرابته التي ينفرد بها دون غيرها من قرابته ، وإذ عُدَّ آل الرجل : ولده الذين إليه نَسَبُهم ومن يؤويه بيته من زوجة أو مملوك أو مولىٰ أو أحد ضمَّه إلى عياله ، وكان هذا في بعض قرابته من قِبَل أبيه دون قرابته من قِبَل أمه ، لم يجز أن يستدل علىٰ ما أراد الله من هذا ثم رسوله إلا بسنّة رسول الله ﷺ ، فلما قال : « إن الصدقة لا تحل لمحمد وآل محمد » دلّ علىٰ أن آل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة وعُوّضوا منها الخُمس ، وهي صليبة بني هاشم وبني المطلب ، وهم الذين اصطفاهم الله من خلقه بعد نبيه صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، وفي الحديث : « لا تحل الصدقة لمحمد وآل محمد » قال ابن الأثير : واختلف في آل النبي ﷺ ، الذين لا تحل الصدقة لهم ، فالأكثر علىٰ أنهم آل بيته ، قال الشافعي : دل هذا الحديث أن آل

محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة وعُوّضوا منها الخُمس ، وقيل : آله أصحابه ومن آمن به ، وهو في اللغة يقع علىٰ الجميع ، وقوله في الحديث : « لقد أُعطي مزماراً من مزامير آل داود » أراد من مزامير داود نفسه .

والآل : صلة زائدة ، وآل الرجل : أتباعه ، قال الأعشى :

فكذبوها بما قالت فصبَّحَهم ذو آل حسَّانَ يُزجي السَّمَّ والسَّلعا

يعني جيش تُبَّع ، ومنه قوله عز وجل : ﴿ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[1] [غافر : ٤٦] .

وقال العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ) :

(أهل الرجل : عشيرته ، وذوو قرباه ، ج : أهلون وأهالٍ وآهالٌ وأهلاتٌ ، ويُحرَّكُ ، وأَهَلَ يأهُلُ ويأهِلُ أهولاً ، وتأهّلَ واتَّهَلَ : اتخذ أهلاً ، وأهلُ الأمر : ولاتُه ، وللبيت : سُكانه ، وللمذهب : من يدين به ، وللرجل : زوجته . كأهْلَتِه ، وللنبي ﷺ : أزواجه وبناته وصهره عليّ رضي الله تعالىٰ عنه ، أو نساؤه ، والرجال الذين هُم آله ، ولكل نبي أُمَّتُه)[2] .

وهكذا تستعمل لفظة (أهل) مرادفة للفظة (آل) ، لكن لفظة (أهل) تُعَدُّ أخص وتعني الزوجة كما في قول الله تعالىٰ خطاباً لزوجة إبراهيم عليه السلام ، عندما قالت : ﴿ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ

---

(١) لسان العرب : (أول) ١/٢٦٨ .

(٢) القاموس المحيط : ٢/١٢٧٦ .

هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود : ٧٢ـ٧٣] .

وقول الرسول ﷺ : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي »[١] .

البحث الثاني : آل البيت ـ اصطلاحاً ـ :

جاء في الموسوعة الفقهية ما يلي : (لم يتفق الفقهاء على معنى الآل ، واختلفت لذلك الأحكام عندهم ، فقد قال الحنفية والمالكية والحنابلة : إن الآل والأهل بمعنىً واحد ، ولكن مدلوله عند كل منهم يختلف .

فذهب الحنفية إلى أن أهل بيت الرجل وآله وجنسه واحد ، وهو كل من يشاركه في النسب إلىٰ أقصىٰ أب له في الإسلام ، وهو الذي أدرك الإسلام ، أسلم أو لم يسلم[٢] . وقيل : يشترط إسلام الأب الأعلى ، فكل من يناسبه إلىٰ هذا الأب من الرجال والنساء والصبيان فهو من أهل بيته[٣] .

وقال المالكية : إن لفظ الآل يتناول العصبة ، ويتناول كل امرأة لو فرض أنها رجل كان عاصباً[٤] .

وقال الحنابلة : إن آل الشخص وأهل بيته وقومه ونسباءه وقرابته

---

(١) سنن الترمذي رقمه (٣٨٩٢) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .
(٢) الإسعاف في أحكام الأوقاف : ١١١ ، بدائع الصنائع للكاساني : ٧/ ٣٥٠ .
(٣) حاشية ابن عابدين : ٣/ ٤٣٩ .
(٤) الشرح الكبير وحاشية الدسوقي : ٤/ ٩٤ .

بمعنى واحد[1] . وقال الشافعية : إن آل الرجل أقاربه ، وأهله من تلزمه نفقتهم ، وأهل بيته أقاربه وزوجته[2] .

وللآل إطلاق خاص في عبارات الصلاة علىٰ النبي وآله ﷺ ، فالأكثرون علىٰ أن المراد بهم قرابته عليه الصلاة والسلام الذين حرمت عليهم الصدقة .

وقيل : هم جميع أمة الإجابة ، وإليه مال مالك ، واختاره الأزهري والنووي من الشافعية ، والمحققون من الحنفية[3] ، وهو القول المقدم عند الحنابلة .

وعبارة صاحب المغني : آل محمد ﷺ أتباعه على دينه[4])[5] .

والمراد بآل محمد ﷺ عامة هم آل علي ، وآل عباس ، وآل جعفر ، وآل عقيل ، وآل الحارث بن عبد المطلب ، وآل أبي لهب .

فإن عبد مناف وهو الأب الرابع للنبي ﷺ أعقب أربعة ، وهم هاشم والمطلب ونوفل وعبد شمس ، ثم إن هاشماً أعقب أربعة ، انقطع نسبهم إلا عبد المطلب ، فإنه أعقب اثني عشر[6] .

. . . وأما أزواجه ﷺ ، فذكر بعض الفقهاء أنهن لا يدخلن في آله الذين حرمت عليهم الصدقة[7] .

---

(١) كشاف القناع : ٤/ ٢٤٢ .
(٢) نهاية المحتاج : ٦/ ٨٢ .
(٣) حاشية ابن عابدين : ١/ ٩ .
(٤) المغني : ١/ ٩٨ .
(٥) الموسوعة الفقهية : ١/ ٩٨ .
(٦) حاشية ابن عابدين : ٤/ ٦٦ .
(٧) حاشية الشلبي علىٰ تبيين الحقائق : ١/ ٣٠٣ .

لكن في المغني عن عائشة رضي الله عنها ما يخالف ذلك ، قال : روى الخلال بإسناده عن أبي مليكة أن خالد بن سعيد بن العاص بعث إلىٰ عائشة رضي الله عنها سفرة من الصدقة فردّتها وقالت : إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة .

قال صاحب المغني : وهذا يدل علىٰ أنهن من أهل بيته في تحريم الزكاة ، وذكر الشيخ تقي الدين : أنه يحرم عليهنّ الصدقة وأنهنّ من أهل بيته في أصحّ الروايتين[1])[2] .

إذاً : هذا هو جوهر الخلاف في الاصطلاح : هل تدخل أزواج النبي ﷺ في الآل أم لا؟!

لعلّ الذي يحلّ الخلاف ـ حسب مفهومنا ـ هو العودة إلى الأصول .

من ذلك ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « خرج النبي ﷺ غداةً ، وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل من شَعْر أسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء عليّ فأدخله ، ثم قال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[3] [الأحزاب : ٣٣] .

وتروي أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها فتقول : « إن رسول الله قال لفاطمة : ائتني بزوجك وابنيك فجاءت بهم ، فأكفأ عليهم كساءً فدكيّاً ، ثم وضع يده عليهم ثم قال : اللهم إن هؤلاء آل محمد ،

---

(١) المغني مع الشرح الكبير : ٢/ ٥٢٠ ، كشاف القناع : ٢/ ٢٦٤ ، فتح الباري : ٣/ ٢٧٧ .

(٢) الموسوعة الفقهية الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت : ١/ ١٠٠ .

(٣) صحيح مسلم : ٧/ ١٣٠ .

فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد إنك حميد مجيد ، قالت أم سلمة : فرفعت الكساء لأدخل معهم ، فجذبه رسول الله ﷺ وقال : إنك على خير »[1] .

ويناقش المرحوم يوسف النبهاني هذه المسألة فيقول :

اختلف المفسرون في أهل البيت في هذه الآية ، فذهبت طائفة ـ منهم أبو سعيد الخدري ـ وجماعة من التابعين ـ منهم مجاهد ، وقتادة ـ وغيرهم كما نقله الإمام البغوي والخازن وكثير من المفسرين ، إلى أنهم هنا أهل العباء وهم : سيدنا رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله تعالىٰ عنهم .

وذهب جماعة ـ منهم ابن عباس وعكرمة ـ إلى أنهم أزواجه الطاهرات ﷺ ، قال هؤلاء الآيات كلها من قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾ [الأحزاب : ٢٨] . إلىٰ قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٤] . منسوق بعضها على بعض فكيف صار في الوسط كلام لغيرهن ؟ !

. . . وعن أبي سعيد الخدري أنه ﷺ جاء أربعين صباحاً يعني بعد نزول هذه الآية إلىٰ باب فاطمة يقول : « السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، الصلاة رحمكم الله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » وهذا نصّ منه ﷺ علىٰ أن المراد من أهل البيت في هذه الآية هم الخمسة ، قالوا : ولو كان المراد الزوجات الطاهرات لما قال : ﴿ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] . بضمير جمع الذكور ، بل كان اللازم أن

---

(١) ذخائر العقبىٰ لمحب الدين الطبري : ٢١ـ٢٢ .

يقال : ليذهب عنكن ويطهركن ، فأجابوا عن هذا بأن التذكير باعتبار لفظ الأهل ، فإن لفظه مذكر ، ولهذا قال ﴿عنكم﴾ ﴿ويطهركم﴾ والجمهور علىٰ أن المراد من أهل البيت في الآية ما يشمل الفريقين معاً عملاً بجميع الأدلة .

وقال ابن عطية : والذي يظهر لي أن زوجاته لا يخرجن عن ذلك ألبتة ، فأهل البيت زوجاته ، وبنته وبنوها وزوجها .

وقال النسفي : وفيه دليل على أن نساءه من أهل بيته ، وقال ﴿عنكم﴾ لأنه أراد الرجال والنساء من آله بدلالة : ﴿ويطهركم تطهيراً﴾ .

وعليه الزمخشري والبيضاوي وأبو السعود ، وهو كذلك في معالم التنزيل للإمام البغوي ، وفي الرواية التي ذكرها عن أم سلمة : « فقلتُ ألستُ منهم يا رسول الله؟ قال : بلىٰ » .

وقال الفخر الرازي بعد كلام : ثم إن الله تعالىٰ ترك خطاب المؤمنات وخاطب بخطاب المذكرين بقوله : ﴿ليذهب عنكم الرجس﴾ ليدخل فيه نساء أهل بيته ورجالهم ، واختلفت الأقوال في أهل البيت ، والأولى أن يقال هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم وعلي منهم لأنه كان من أهل بيته بسبب معاشرته بنت النبي ﷺ وملازمته .

وإلىٰ هذا النحو ذهب الإمام الواحدي في أسباب النزول ـ أي الآية شاملة للزوجات وأهل الكساء ـ وبهذا أخذ النيسابوري في التفسير ، وكذلك المقريزي أيضاً .

وقال المحقق ابن حجر في الصواعق : إن المراد بالبيت في الآية ما يشمل بيت النبي ﷺ وبيت سكناه ، فتشمل الآية أزواجه عليه الصلاة والسلام .

وأعمّ من هذا ما ذكره العلامة الخطيب في تفسيره فقال : واختلف في أهل البيت ، والأولىٰ فيهم ما قاله البقاعي : أنهم كل من يكون من ألزام النبي ﷺ من الرجال والنساء والأزواج والإماء والأقارب ، وكلما كان الإنسان منهم أقرب وبالنبي ﷺ أخص وألزم كان بالإرادة أحق وأجدر .

وخلاصة القول ـ حسب النبهاني ـ خمسة أقوال في المراد من أهل البيت :

أولها : قول الجمهور إنها شاملة للفريقين وهو الذي عليه الاعتماد .

الثاني : قول أبي سعيد الخدري من الصحابة وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة أن أهل البيت فيها هم أهل العباء خاصة .

الثالث : قول ابن عباس من الصحابة وعكرمة من التابعين أن المراد الزوجات الطاهرات .

الرابع : ما نقله ابن حجر في الصواعق عن الثعلبي من أنهم بنو هاشم ، علىٰ أن البيت يراد به بيت النسب ، فيكون العبّاس وأعمامه وبنو أعمامه منهم .

الخامس : ما نقله الخطيب الشربيني عن البقاعي ، قال وهو الأولى من أنهم : كل من يكون من ألزام النبي ﷺ من الرجال والنساء والأزواج والإماء والأقارب ، وكلّما كان الإنسان منهم أقرب وبالنبي ﷺ أخص وألزم كان بالإرادة أحق وأجدر[1] .

---

(١) بتصرف واختصار من الشرف المؤبد لآل محمد للنبهاني ١٨ـ٤٣ ، وللتوسع يراجع : تفسير ابن كثير : ٣/ ٤٨٥ ، الدر المنثور للسيوطي : ٥/ ١٩٨ ، تفسير الطبري : ٢٢/ ٦ ، مستدرك الحاكم على الصحيحين : ٣/ ١٤٨ ، صحيح مسلم : =

وبعد ذلك كله نقول يجب أن يكون ولاؤنا المطلق لآل البيت ، من خلال ولائنا المطلق لعمود آل البيت سيدنا رسول الله ﷺ الذي أمرنا الله سبحانه باتباعه والاقتداء به والسير علىٰ منهجه وصراطه القويم ، مرددين قول أحد المحبين :

والي ـــــت آل محمـــــد وأخـــذت عنهـــم كـــل عـــاده
أنـــا لـــم أجـــد منهـــم إمـــا مـــاً مـــات وهْـــو علـــىٰ الـــوســـاده
حتـــىٰ الـــذي قـــد جـــاوز الـــــــستيـــن لـــم يتـــرك جهـــاده
فهـــــم الأئمـــــة والهـــــدا ة إلـــىٰ الصـــواب إلـــىٰ السعـــاده
وهـــم النجـــوم إذا ادلهـــــــــمّ الخطـــب إنهـــم القيـــاده

* * *

= ١٣٠/٧ ، السنن الكبرى للبيهقي : ١٤٩/٢ ، جامع الأصول لابن الأثير : ١٠١/١٠ ، مسند أحمد : ١٧٠/٤ ، خصائص النسائي : ١٥ .